الجزء الثاني عشر



السنة ثانية

(١٥ ديسمبر سنة ١٩٠١)



﴿ سعادة ونجت باشا ﴾

﴿ حاكم السودان العام ﴾

القسم الأدبي

ماذا ينقصنا

(خطبة أدبية لمنشيء المفتاح)

قد كان يسوغ لنا بالامس ان نعامل التجار الاطباء الاجانب ونثق بهم أيام كانت بلادنا محرومة من ابناء جلدتنا من التجار والاطباء اما الآن فاي عذر لنا وقد نبغ بين ظهرانينا الكثيرون من ذوي الكفاءة والجدارة وتمام الاستعداد وقد كان يلتمس لنا العذر يومئذ في ارسال ابنائنا الى المدارس الاجنبية لتلقي العلوم والمعارف الضرورية لحرماننا من وجود المدارس الوطنية اما الآن فاي عذر لنا وقد انتشرت المدارس الاهلية الوطنية الكبرى فى طول البلاد وعرضها وأغلبها تفوق في نظامها وحسن استعدادها اشهر تلك المدارس الاجنبية

وقد كنا نعذر وقتئذ في تهافتنا على الاشتراك فى الجرائد والمجلات الاجنبية يوم كانت بلادنا محرومة من مثلها اما الآن وقد كثرت الجرائد والمجلات المصرية الوطنية واثبت أصحابها انهم كفوء للقيام بهذه المهمة الخطيرة فاي عذر لنا

أليس فى أحجامنا عن مساعدة مواطنينا من كل هذه الوجوه اماتة للعواطف وتثبيط للهمم وكل ذلك عاقبته الفشل والخذلان ومنتهى الذل والهوان وعلى من تلقى تبعة ذلك أيها القوم الكرام ؟ كل الامم تشعر من نفسها بذلك الحنين الوطني والميل الطبيعي الى الدفاع عن الوطنية والتعصب للجنسية حتى ان هذا المبداء السامي الشريف يكاد يكون معروفاً عند ادنى الامم المتوحشة بل الحيوانات الدنيئة فلماذا حرمنا من هذا الشعور والاحساس ولماذا لا نردد كل آونة قول الشاعر الابي النفس :

بلادى وان جارت على عزيزة　　وأهلي وان ضنوا علي كرام

ينقصنا أيضا أيها السادة من الكمالات أيضا ان ندرك ان التقاليد الاعمى والتشبه بالاجانب في كل عاداتهم وأحوالهم واحتقار التقاليد والعادات الوطنية خطاء ليس بعده خطأ وان كل أمة من الامم ليست معصومة من الزلل وان الكمال لله وحده ولكل شيء اذاما تم نقصان فالامم الغربية مهما بلغت من الرفعة والحضارة فان في أخلاقها وعادات أهلها ماهو مستهجن مذموم فلا يسوغ لنا التمسك به أو التهافت عليه وياليت شعري لماذا نعرف تقلد الاجانب فى سيئاتهم ومفاسدهم ولا يخطر على بالنا ان نقتدي بهم في حسناتهم وفضائلهم أليس ذلك مما يدلكم أيها السادة على ضعف فى الادراك ونقص في التربيه كما قلت . على اني لا أقصد بذلك ان كل عاداتنا وتقاليدنا الوطنيه مستحسنة ممدوحة فان هذا لا محل له من الحقيقة والصحة واننا أحوج الناس الى أصلاح العادات وخصوصاً عاداتنا المشهورة في الاعراس والمآتم ونحوها وعندي ان ذلك لا يتم لنا الا اذا كان كبراء الامة قدوة للاصاغر فى الاقلاع عن هذه العادات المستهجنة فان الصغير من عادته ان يقتدي دائما بالكبير وهو يخشي في التنحي عن هذه العادات من الملامة والتعيير وهذا خير علاج لاصلاح عاداتنا كما أجمع رأي الباحثين فما أحرانا باتباع هذه الجادة القويمة والخطة المثلى ونحن في عصر بزغت فيه أنوار المعارف والحضارة فبددت غياهب الجهالة والضلالة

وقصاري القول انه تنقصنا أمور كثيرة من هذا القبيل أيها السادة ولكنها ترجع كلها الى أصل واحد وهو اصلاح حال التربية والتعليم ويمكني ان الخص لكم خطابي كله في جملة واحدة وهي هذه « ربوا أولادكم وعلموا بناتكم التعليم الصحيح وابذلوا المال بسخاء في سبيل الصالح العام وتعصبوا لجنسيتكم ووطنيتكم وليكن الكبير منكم قدوة للصغير فى هذا المضار هذا كل ما ينقصكم ويؤدي الى تحسين

حالتكم وسعادة مستقبلكم »

ولا تظنوا أيها السادة ان الوصول الى ما تتمنونه من التقدم والارتقاء صعب المنال أو بعيد الحصول وان استرجاع مجد الاباء والاجداد دونه خرط القتاد فان هذا اعتقاد فاسد ووهم باطل ومصر بلادنا العزيزة ووطننا المحبوب التي قامت فيها أمة عظيمة ودولة كبيرة كانت مصدر القوة والعلم اخضعت الامم الاخرى ودانت لها كل الرقاب هي هي بعينها لم يتغير موقعها ولم تفقد شيئاً من مزاياها وحالتها الطبيعية فالشمس تشرق فى مصر اليوم كما كانت فى أيام أجدادنا الفراعنة العظام والنيل يجري في أراضيها فيزيدها نماء وخصباً كما كان في تلك الايام والدم المصري القديم هو هو بعينه يجرى في عروقنا كما كان يجري فى شرايين آبائنا الاقدمين وذلك الذكاء المصري المعروف والاستعداد الفطرى لم ينتزع منا والحمد لله فلماذا اذن هذا الخمول والاحجام فافيقوا ياقوم من غفلتكم وانهضوا من رقدتكم واعلموا ان كل من سار على الدرب وصل ولكل مجتهد نصيب

وقل من جد في أمر يحاوله ... واستعمل الصبر الا فاز بالظفر

هيا اعيدوا مجدكم القديم وسوددكم العظيم واعتمدوا على ما اعتمد عليه غيركم من وسائل التقدم والارتقاء فتنجحون وتستفيدون وتحيون حياة سعيدة طيبة وتهتز عظام اجدادكم في قبرها فرحا وانتعاشا واصغوا رعاكم الله الا ما يردده لسان الحال في ختام المقال

أين شهامتكم أين مروءتكم ... أين معارفكم يا أقدم الدول
عار علينا بان نلهو وحالتنا ... تبكي الجميع الا يا خيبة الامل
عار علينا بان نسهو وأمتنا ... تمسي وتصبح فى ذل وفي زلل
هيا انهضوا سادتي حتي نعززها ... حالا بمأثرة تبقي على عجل
أم كيف يعزى العلا يوما الامتكم ... مع ان حالتكم في غاية الفشل

هذي مدارسكم هذي مراسحكم | الى المهمين تشكو شدة الخلل
حتام ذا النوم هبوا يا بنى وطنى | فالكل منا هوى فى وهدة العلل
وداوموا يا ذوي الاصلاح واجتهدوا | مدى الليالي واياكم من الملل
فآفة المرء ان يسعي ورا عمل | ثم يعود فيقفو خطة الكسل
(وانما رجل الدنيا وواحدها | من لا يعول في الدنيا على رجل)
وحاشا ان نرتضي بالذل قسمتنا | وعد الخديوى يجل اليوم عن مطل
فايد الله بالاجلال سدته | يسمو ارتقاء الى العليا على زحل
ولتحيا جمعية التوفيق خالدة | فى ظل عباس باشا منتهى الامل
ما قال توفيق في ذيل مقالته | الله يرشدنا في اقوم السبل

المناظرة والمراسلة

ادوار الجنون وأسبابه

﴿ حديث في عالم الاموات ﴾

« بين مجنونين »

حضرة الفاضل منشئ المفتاح الاغر

رأيت من قراء مجلتكم استحساناً للفصل الذى عربته عن كتاب « حديث الاموات » للعلامّة فونتنل عن مصير العمران ولذا أردت ان أردفه بفصل آخر عن محاورة بين مجنونين موضوعها أدوار الجنون وأسبابه اتماماً للفائدة ودونك هي :

البرت ـ كثيراما اردت أن أرى مجنوناً مثلى . فاعلمنى ولو قليلا تاريخ جنونك كيف حدث ؟

غليوم — كنت شاعرا بروفنسياً كثير الاعتبار فى عصري وما كان ذلك الا الا لشقائى فقد تعشقت سيدة صارت شهيرة بموءلفاتي فشغفت بشعرى كثيرا وخشيت أني يوماما أنظم مثله في غيرها وحتي تتأكد من اختصاصها بنظمى وامانة شعرى لها اسقتنى شرابا ادار عقلي وجعلنى فى حالة لاأقدر معها على النظم

البرت — من كم سنة توفيت

غليوم — من اربعمائة سنة تقريباً

البرت — يوءخذ من ذلك ان الشعراء كانوا قليلين فى عصرك حتى انه بلغ من اعتبار الناس لهم ان يسموهم على هذه الكيفية واني حزين جدا لانك لم تولد فى أيامي حيث كان يمكنك ان تنظم الشعر في جميع الجميلات على اختلاف طبقاتهن دون خوف من سم

غليوم — أعرف ذلك وما أرى واحدا من كل تلك العقول السامية التى أتت هنا لاقى من الدهر ما لقيت ولكن قل لي كيف جننت

البرت — بكيفية معقولة جن ملك لانه رأى خيالا في غابة وما هذا بالشيء المهم ولكن ما رأيته كان أكبر هولا

غليوم — آه وما رأيت

البرت — جهاز عرسى . تزوجت ماري الايونوردي كلاف وتأملت في الزواج اثناء هذه الافراح تأملات عقلية شديدة أضاعت صوابي

غليوم — هل لك في مرضك أوقات ترجع فيها الى صوابك

البرت — نعم

غليوم — يا للمصيبة وانا كنت أكثر تعاسة لان العقل كان يعود الي تماماً

البرت — ما كنت أظن أبدا ان تلك مصيبة

غليوم -- عند ما يجن الانسان يجب ان يكون مجنونا تماما ولا ينقطع أبدا عن

ان يكون كذلك لان التعاقب بين العقل والجنون لا يكون الا لذلك العدد الصغير الذي لم يجن الا لعوارض وهذه الفئة ليس لها عدد يذكر . ولكن أنظر هؤلاء الذين تأتي بهم الطبيعة كل يوم في مجراها الاعتيادي أولئك الذين ملوءا الارض فهم دائما في الجنون سواء لا يشفون أبدا

البرت — اما من جهتي فاني أتصور أنه كلما قل الانسان جنونا كان خيرا له

غليوم — آه الا تعرف فيما ينفع الجنون ؟ ينفع فى أن يمنع الانسان من ان يعرف نفسه لان رؤية الانسان نفسه محزنة جدا وبما انه لم يكن للانسان وقت لان يعرف نفسه فيجب ان لا يترك الجنون الناس لحظة واحدة

البرت — عبثا تقول ذلك فانه لا يمكنك ان تقنعني بوجود مجانين اخر غير الذين يجنون كما كان كلانا والا كان من عدم الفقدان فقد العقل ولم يكن التميز بين المعتوهين والعقلاء ممكنا

غليوم — ان المعتوهين هم فقط على نوع أخر من الجنون بينما الناس في الجنون سواء لذلك اتفقوا معا بسهولة وكان لهم من جنونهم أقوى رابط للهيئة الاجتماعية والدليل عل ذلك هذه الرغبة في الخلود وهذا المجد الباطل وغيرهما من المبادي التى يجرى عليها كل عامل فى الحياة ولذلك لم يدعوا مجانين الا أولئك الذين بعدوا عن العمل والذين لم يتفقوا معهم في الجنون ولم يجروا فى تجارة الحياة الاعتيادية

البرت — ان المعتوهين هم هكذا مجانين حتي انهم يعاملون بعضهم بعضاً معاملة المجانين اما الناس فيعاملون بعضهم معاملة العقلاء

غليوم — آه ماذا تقول ان الناس يشير بعضهم الى البعض بالاصابع وهذا ترتيب وضعته الطبيعة على أحكم نظام يهزاء المعتزل بجليس الملوك ولكن من جهة أخرى لا يذهب ليزعجه في حاشيته وجليس الملك يسخر بالمعتزل ولكنه يدعه يرتاح فى عزلته ولو عرفت وجهة انها الوجهة الوحيدة المعقولة لاتجه اليها الناس أجمع

وكان الازدحام عليها شديدا لذلك خير للناس ان ينقسموا احزاباً صغيرة فلا يترابكون قط لان البعض يضحك مما يفعل الاخر

البرت ــ ولو انك ميت فاني أجدك مجنونا ببراهينك هذه وانك لم تشف بعد من الشراب الذي اسقيته

غليوم ــ هذا هو الفكر الذي يجب ان يفتكره دائما مجنون في مثيله الحكمة الحقة تميز جيدا من يمتلكونها ولكن رأي الحكمة يساوى كل الناس ولا يكون في مرضاتهم أقل من ذلك

(ميخائيل بشاره داود)

الزراعة

سيدي الفاضل منشيء المفتاح الاغر

طالعت المقالة التي نشرتموها في مجلتكم الفيحاء تحت عنوان « التجارة » بقلم حضرة الاديب ناشد أفندي حنا فاعجبني ما جاء فيها من الحقائق الجليلة والمباحث المفيدة ولما كانت الزراعة لا تقل عن التجارة أهمية وفائدة وهى ألزم للمصريين من سواها ما دامت بلادهم زراعية محضة لذلك أحببت ان أوافي قراء مجلتكم بنبذة مختصرة ضمنتها فائدة الزراعة وعلاقتها بالعمران وشدة لزومها لقوام الحياة فاقول .

استخراج ما يمكن من المحصول من الارض بواسطة استعمال أسهل الطرق واكثرها توفيرا هذا ما يسمى بالزراعة . وهي فن للمزارع البسيط وعلم للرجل الذي يتأمل ويتفكر ولا يأخذ النتيجة الا نقطة ابتداء للسير في طريق تطبيق نظرياته وتأييد معلوماته

لم يجد الانسان منذ التفت فرأى نفسه بعيدا عن أسباب السرور والخيرات التي كان يرتع فى بحبوحتها قريبا من الشقاء والعوز والتعاسة التي ما كان اغناه عنها

محكوماً عليه بان يأكل خبزه بعرق جبينه حائراً تائهاً في سبيل الاهتداء على الطريق التي يسلك فيها وهو عارٍ عن وسائل التعيش المتوفرة لدينا الآن لم يجد سوى فلاحة الارض اشتغالة له

على ان الفلاحة ليس لها فقط امتياز الاسبقية على باقي مشغوليات الانسان ولكنها الاكثر عما سواها لزوماً — والاكبر انتشاراً — والأوفر سهولة —. والأعظم فائدة للبلاد — والاعجب نتائجاً — والازيد تقرباً الى الخليقة —. وأخيراً التي تمكن عرى الاتحاد بين الخالق والمخلوق .

الأكثر لزوماً —. لانها وحدها تقدم للانسان الغذاء الذي عليه قوام حياته والملابس التي تقيه شرّ غوائل الحر والبرد والمساكن التي يأويها فتحميه من اعتداء الحيوانات الضارية والوحوش المفترسة وغير ذلك مما تقتضيه أحوال المعيشة

غير انه اذا كان الانسان المنفرد مديوناً بحياته الى الزراعة . فلأمم على اختلاف نحلها وتعدد مشاربها ليست بأقل مديونيةً منه اليها فيما يتعلق بوجودها وتقدم صناعتها ورواج بضاعتها

كيف لا —. وأي نوعٍ من البضاعة لم يحتج الى ما تقدمه له الزراعه من المساعدة ؟ فالملاحة مديونة لها بمراكبها وذخائرها . والتجارة بمواردها الأولية . والطب بعقاقيره النباتية . والتصوير باقمشته وأغلب ألوانه . وبالاجمال ما من مخلوقٍ على الارض من الممالك الثلاث الا وقد غمرته بافضالها وكل تقصير في محصولاتها لا يترتب عليه الأ الخراب والدمار في كل زمانٍ ومكانٍ وفي هذا دليل كافٍ على ان الزراعة هي الاكثر عما سواها لزوماً

وهي الاكبر انتشاراً ايضاً وللتسليم بما في هذا القول من الحقيقة الساطعة يكفي الانسان ان يسرح الطرف قليلاً في ماجريات هذا العالم فيرى ان فرنسا وهي من البلاد

التي بلغت التجارة والصناعة فيها منتهى التقدم بحيث يكون الاقبال عليهما عظيماً مساحتها ٣٥ مليون هكتار ينزل منها ١٢ مليون تشغلها الغابات والمساكن والانهر والغدران وغيرها . فتبقى مع ذلك ٢٣ مليون هكتار مخصصة لامتداد ظل دولة الزراعة ويرى من الـ ٣٦ مليون ساكناً في تلك البلاد ٢٦ مليوناً منهم أكثرهم خاضعين لتلك الدولة العظيمة مستظلين بعلمها الأخضر مستعدين لبذل النفس والنفيس دون تأييد سلطتها . وكفى بهذا برهاناً على انتشارها

الأوفر سهولة — الزراعة وان كانت في حاجة عظمى الى العلوم والمعارف الا أنها تكتفي اذا اقتضى الحال برجالٍ حبتهم الطبيعة بفكرٍ يحسن التأمل ويرجع في كل اعماله الى التجربة والقوى التي تحتاج اليها ليست في غاية من الصعوبة كما في الصناعة اذا كانت في الحدادة مثلاً أو التجارة اذا كانت في قطع الفيافي والوديان والاشياء التي تستعمل فيها الحصول عليها سهل :

زوج من الثيران ومحراث وبعض آلات أخرى بسيطة لتحسين التربة أي جعلها صالحة لان تترك ممرًا للجذور والماء والحرارة هذا كل ما تحتاج اليه

قلنا آنفاً ان الزراعه هي الاعظم فائدة للبلاد — . اتضح من تقرير كتب في فرنسا سنة ١٨٣٤ واقول فرنسا لان مصر لم تتعود على عمل مثل هذه التقارير ان مقدار الحبوب فيها سنوياً يبلغ (١٥٢) مليون هكتور تقدر بمبلغ مليارين من الفرنكات فاذا أضفت على هذا ثمن الخضروات وغير ذلك ثم وثمن الحيوانات التي لا تتغذى الا من نعم الزراعة فان المبلغ يربو على الاربع مليارات ونصف . مع ان الصناعة لا تعطي مهما كان الاقبال عليها عظيماً في تلك البلاد التي هي على جانب عظيم من الحركة اكثر من ٦ ملايين من الفرنكات والفرق كالصبح ظاهر

قلنا ان الزراعة هي الاعجب مناظرًا ونتائجاً والازيد تقرباً الى الخليقة — . لانها

هي وحدها في كل ادوارها واطوارها تذكر الانسان بالطبيعة ووظيفتها نحوه . تذكره بنعم الله عليه . تذكره بقدرة الخالق عزّ وجل .

مامن شيء اعجب واغرب من تكون النبات كيف لا وحبة أو بذرة أو نوارة تدفن في الارض فتمتلكها قوّة خفية فتنفخ فيها روحاً من الحياة فلا يلبث ان يظهر لتلك الحبة أو البـذره عقلة خضراء صغيره تتحوّل الى ساقٍ يعلو و يرتفع بحسب اختلاف النوع الذي هو فيه الى ان يصير شجرة وارقة الظلال كثيرة الاثمار دانية القطوف — أليس ذلك بعجيب . أليس ذلك داعٍ الى الاعتراف بقدرة خالق تلك المملكة النباتية .

ومناظر الزراعة من أجمل المناظر وأبدعها وأحسنها وأدقها وابهرها وازهاها وازهرها ومن كان في شكٍ فلينظر الى روضة زارها الربيع بهداياه السنية فخلع عليها اثواباً سندسية . ففتحت فيها الازهار وجرت ما بينها الانهار . وغنت فيها الاطيار حيث مالت قدود الاشجار

فلينظر الى تلك السنابل وقد انعكست عليها أشعة الشمس عند المغيب وهبت عليها ريح فأهاجتها فصارت تتمايل في حقلها كمياه بحرٍ من عسجد .

فلينظر الى تلك المنتزهات الجميلة التي رسمتها يد الانسان على أبدع شكل وأحسن مثال ولكن يد الله هي الفعالة وهي التي تعطيها الرونق والحسن والبهجة التي تبدو بها فتنة للناظرين .

أي شيء أعجب من كل هذا أي شيء أقدر من هذا على حملنا على الاعتراف بفضل صانع تلك المعجزات

ولكن لماذا الوقوف عن هذا الحد او ذلك النوع في حين كل شيء في الزراعة داعٍ الى العجب ومالها شيء في حقولها يدعو الى الملل فكل نوع وحسناته وكل

فصل من الفصول يقدم لنا منظرًا جديدًا وعشبًا جديدًا وزهرًا جديدًا واثمارًا جديدة ذات ألوان جديدة

وهي التي تمكن عرى الاتحاد . بين الخالق والمخلوق — نعم . مفاوضات رجل الحكومة وعمليات البنكير ورواج بضاعة التاجر وفلاح صناعة الصانع لا تتعلق مباشرةً بالوقت والفصول والحر والبرد . ولكن المزارع ليس كذلك فانه يعرف جيدًا انهُ لا يكتفي الحال بتصليح الارض ودفن الحب في جوفها ولكن ان تجري رياح الجو بما تشتهيه سفن قصده . يريد أن يأخذ الشتاء حقوقه ولكن صالحه يقضي ان لا يكون برده قارصًا ولا مدته مستطيلة . يريد ان الصيف يكون كثير الحر يريد خصوصًا أن تهطل الامطار في أوقاتها المناسبة بشرط أن لا يكون سقوطها بكثرةٍ أو بقلة . ولكنه مع ذلك لا يجهل ان الحر والبرد والمطر والحرارة هي بأيدي الله وانه للحصول عليها يلزم الالتجاء اليه تعالى

فصالحه وواجباته وحياته تقضي عليه بأن يرفع من وقتٍ الى آخر ومن ساعة لاخرى أيديه وعينيه وقلبه نحو السماء طالبًا منها المعونة والرحمة

وكلما اشتد خوفه وهلعه كلما قرب وقت المحصول فحينئذٍ تكثر صلاته لا سيما اذا اذا كان ذلك المحصول في أيام الشتاء وبدت في الجو زوبعة فاغبر لها وجه الافق او تلألأت لاضاءة البروق وهدر الرعود فياللمنظر حينئذٍ ما اعجبه اذ يجثو رب العائلة والخدم والبنين مستحلفين السماء ان لا تهدم لهم ما شيدوه من قصور الآمال .

فهل بعد كل هذه الفوائد والمزايا التي خصت بها الزراعة يسوغ للمصريين ان يحجموا عنها ويشتغلوا بسواها ويتهافتوا على خدمة الحكومة وطرق أبواب المصالح حقًا ان هذا هو الخطاء العظيم والضلال المبين والله الهادي الى سواء السبيل

حنا يوسف منصور



اللورد كتشنر باشا

« حاكم السودان العام سابقاً »

(ورئيس الجنود الانكليزية في حرب الترنسفال الآن)

نشرنا في هذا الجزء بعض الصور المتعلقة بالسودان المصري وسنردفها بغيرها من هذا القبيل في الاجزاء الآتية وذلك لمناسبة سفر الجناب العالي الى السودان وعوده منه في خلال الشهر الماضي .

القسم العلمي

﴿ أنباء علمية ومتفرقات مختلفة ﴾

﴿ سلم غريب ﴾ يقال ان عند الصينيين جبل مقدس يدعى « تاي شان » يرتقى الى قمته بسلم له ستة آلاف درجة والمسافة رأسياً بين الدرجة السفلى والدرجة العليا تبلغ ١٨١٠ امتار واما المسافة التي يمشيها الصاعد على هذا السلم بالنسبة لانحداره وتعاريجه فتبلغ ٢٦ الفاً و ٥٠٠ متر .

﴿ اقدم مكتبة ﴾ لقد اكتشف الاثري الكبير الاستاذ هيلبرخت الاميركي في انقاض مدينة بابل أكبر المكاتب واقدمها بعد ان صرف في البحث عنها ١١ سنة فوجد ١٨ الف رسالة او مجلة كتبت كلها او جلها بالخط المسماري قبل المسيح بخمسة آلاف سنة واغرب من هذا الاكتشاف بقاء تلك المجلات على حالها مع تقادم العهد ومرور الدهور عليها ولا يزال هذا الاثري مشتغلاً بالبحث والتنقيب عن بقايا تلك المكتبة في عاصمة الكلدانيين حتى الآن .

﴿ أثمن اليخوت ﴾ من اثمن اليخوت يخت صنعه المستر بينت صاحب جريدة النيويورك هرالد وقد بلغ ما انفق عليه ١٢٥ الف جنيه وغرفه ومقاصيره ليس افخر منها في قصور الملوك .

﴿ عقود الزواج بالمقول ﴾ مما تفنن به الاميركان وعد من غرائبهم ان فتى من كنتكي وفتاة من ايلينويز تعاهدا على الاقتران واتفق قبيل الاجل المعين للزفاف ان الفتاة اصيبت بداء الخناق وضرب الاطباء على منزلها نطاقاً صحياً ولم يشأ الفتى تأجيل الزواج فاستدعى قسيساً وأتى بفونوغرافين فاستفهمه القسيس عن رغبته في الاقتران

فأجاب بالايجاب وانطبع الصوت علي تلك الآلة ثم بعثوا الى الفتاة بالآلة الاخرى وفيها صورة السؤال فأجابت بالايجاب وهكذا تم الاقتران دون ان يجتمع العروسان

﴿ ازالة الزكام ﴾ قال بعض الاطباء ان على المزكوم ان يستنشق قليلاً من الملح الناعم فيزول زكامه بوقت قريب وان تجربة هذا الدواء خير من الجلوس على المقعد وقتل الوقت في عصر الانف بالمنديل

﴿ سقوط الشعر ﴾ اذا أردت أن تحفظ شعر رأسك او رأس غيرك من السقوط فخذ ثمانية دراهم من الكاسيرين وصبغة الفيلفلة ودرهماً واحداً من زيت البرغموت وامزج هذه المواد بقليل من مادة عطره وادهن الشعر بها واغسله من وقت الى آخر بماء وصابون

باب السؤال والاقتراح

﴿ المناظرة في موضوع المرأة ﴾

(مشطا) السيدة لبيبه يونان — وعدتم قراء المفتاح بنشر كلما يرد اليكم من الافكار والآراء عن المناظرة في موضوع المرأة تفنيداً لمزاعم تولستوي أو تأييداً لها وقلتم ان لديكم من الافكار والردود بهذا الصدد شيء كثير فما الداعي اذن الى قفل باب هذا الموضوع فجأة دون ان تردوا على مقالة ذلك « الزوج التعيس » الذي اوسع النساء تقريعاً وتنديداً لا يحسن السكوت عليه فأرجو ان تميطوا اللثام عن حقيقة ذلك ولكم من بنات جنسي وافر الشكر وعاطر الثناء . ؟

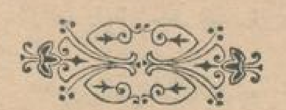
﴿ المفتاح ﴾ انما قفلنا باب المناظرة في هذا الموضوع لاننا وجدنا من حضرات الكتاب والمتناظرين حدة في الكلام وشدة في اللهجة لا نرضى ان نفسح لها مجالاً في

صفحات المقتاح الذي هو كما عرفه القراء مجلة علم وادب لا محل للمشاحنات والمطاعن فيه . واكثر الردود اعتدالاً وتأدباً ما كتبه حضرة الاديب رمزي افندي تادرس تفنيداً لافكار تولستوي وكذلك ما كتبه آخر تستر تحت اسم (نصير للحق) ونحن نلخص اقوال الكاتبين ورأينا فيما كتبه (الزوج التعيس) في السطور الآتية مراعين في ذلك كل الايجاز والاختصار وهو آخر ما نكتبه في هذا الباب وفيه فصل الخطاب : اننا نوافق الكاتب الاديب على ان اغلب ما قاله الكاتب الروسي ينطبق على حالة النساء في اوروبا وان اغلب تلك العيوب والفضائح التي نوّه عنها لم تخل عقيلة او فتاة أوربية او اميريكية منها (الا فيماندر) ولكن كيف العمل وقد أبى الكاتب الروسي الاّ ان يعمم الحكم بسقوط المرأة سقوطاً ادبياً في مشارق الارض ومغاربها دون ان يخص بذلك فريقاً دون آخر وهل ليس من واجبات الكاتب الشرقي ان يرد على ذلك الغربي ويثبت له ان المرأة في الشرق وان كانت منحطة في العلم والتنور ودون زميلتها الغربية في التمتع بلذة الراحة والحرية والحقوق المدنية ولكنها ارقى واسمى منها في التمسك بالاداب والفضائل وان ما ندد به على المرأة لا ينطبق على حالة كثيرات من النساء الشرقيات هذا هو السبب الحقيقي الذي حدا بنا الى ابداء ملاحظاتنا على رأي الفيلسوف تولستوي عن المرأة لا لمجرد حب الدفاع عن النساء واكتساب رضاهن كما يتهمنا حضرة الزوج التعيس .

اما قول المناظر الفاضل بان الرجل شاد اركان التمدن والعمران وحده دون مشاركة المرأة له في ذلك وهذا ما يكفر عن سيئاته في نظر الجمهور وان المرأة هي اولى بانتقاد سلوكها وتشديد النكير عليها لان ليس لها من الحسنات ما يكفر عن سيئاتها فهو قول لا يوافق الكاتب عليه احد لان موضوع البحث لم يكن تعداد اعمال الرجل والمرأة وما لهما من الآثار والمآثر في الهيئة الاجتماعية بل هو النظر في اخلاق المرأة

وآدابها ليس الاّ ومع ذلك فاذا كان يسوغ للرجل ان يتباهى ويفتخر لانه اخترع واكتشف وانشأ وأسس فلماذا لا يسوغ للمرأة ان تفتخر أيضاً وهي التي كانت أم هؤلاء المخترعين والمكتشفين ولها الفضل الاول في تربيتهم وتهذيبهم ولولاها لما نبغوا في العالم وافادوه باكتشافاتهم واختراعاتهم ·

بقي علينا ان نقول لحضرة المناظر الفاضل انه قد اخطأ في تعضيد رأي الفيلسوف تولستوي في ذم الزواج واعتباره من الآفات الكبرى والضربات العظمى وادعائه بان الحب الحقيقي والاخلاص الصادق لا وجود لهما بين المتزوجين مستنداً في ذلك على اختباره الشخصي الامر الذي حدا به الى ان يطلق على نفسه اسم الزوج التعيس فان كان حضرته قد صار تعيساً بعد زواجه فما ذلك الا لانهُ لم يدقق في امر الزواج ولم يراع فيه الشروط اللازمة او لاسباب أخرى نجهلها · ولكن ذلك لا يجب ان يتخذ دليلاً على ضرر الزواج وعـدم لزومه لان كثيرين من المتزوجين يشهدون أيضاً عن اختبار شخصي ان الزواج كان خير دواء لعذاب عزوبيتهم وامراضهم الادبية وانهم عاشوا بعد الزواج في سعادة وهناء وتخلصوا من اضرار عظيمة مادية وأدبية وصحية كانت تنتابهم وتفتك بهم قبل زواجهم بل ان الكاتب الروسي تولستوي نفسه الذي يعضد كاتبنا الشرقي رائيه من المتزوجين الذين يعيشون معيشة عائلية سعيده فليتدبر حضرته اذن فيما يكتب وليتق الله في الطعن على جنس لطيف لا يستحق منا غير المجاملة والاكرام ويشاركنا في اعمالنا ويشترك معنا في السرّاء والضرّاء والله الهادي الى سواء السبيل ·



تسلط الشهوات

(مصر) راغب افندي جرجس — هل يستطيع الانسان ان يتسلط على شهواته او ان لا سلطان له عليها كما يظهر من احواله وتصرفاته وما معنى قولهم ان الطبع يغلب التطبع وان الانسان مسير لا مخير ؟

المفتاح — خلق الانسان من جسم هيولي (كما يقول علماء الطبيعة) أو ترابي (كما يقول علماء الدين) ومن روح ناطقة خالدة ومن نفس امارة بالسوء وضمير حي وعقل مدرك يمنعانه عن الاندفاع في تيار المفاسد والشرور فالذي يتسلط ضميره او سريرته على نفسه الامارة بالسوء يستطيع ان يتغلب على شهواته النفسانية ويقمعها والعكس بالعكس ولا شك ان للتربية والمعاشرة دخل كبير في ذلك ايضاً و بالاجمال فان الانسان قادر على قمع شهواته بما اوتيه من العقل والادراك والا كان وجود العقل في الانسان او عدمه سيان وهو ما لا يعترف به احد وما اصدق ما قاله الشاعر بهذا الصدد .

والنفس كالطفل ان تهمله شب على ... حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

وقال آخر

والنفس راغبة اذا رغبتها ... واذا ترد الى قليل تقنع



التعاون

تحت هذا العنوان نظم الشاعر الفرنساوي الشهير (فولتير) قصيدة رقيقة المعنى دقيقة المبنى ضمنها من الحكم وجوامع الكلم ما يفوق حد الوصف و يجل عن النعت وقد عني حضرة الاديب صاحب الامضا بتعريب هذه القصيدة البديعة ليرى شعراؤنا من الناطقين بالضاد الى أية درجة وصلت حالة النظم في عالم الحضارة والمدنية و بماذا تجود قرائح شعراء الغرب

ولا يدرك فضل المعرب ودقة التعريب الاّ من قرأ القصيدة في أُصلها الافرنجي كما قرأناها نحن واُعجبنا بها وشهدنا بفضل معربها قال :

في خلال العيش اذ ايامنا * تنثني حزنًا وتثنى بالشقاء
يابني مولىً وحيدٍ سرمدى * لنعش دومًا على عهد الاخاء
ولنساعد بعضنا بعضًا على * حمل ما حملنا دهرٌ الدهاء
اننا نمشي حناة الظهر من * عبء اثقال الرزايا والبلاء
الف خصم قاسي يحتاطنا * في حياةٍ جهدنا فيها عناء
قدر ما نوسعها من لعنةٍ * قدر ما نوليها من صافي الولاء
ولكم بتنا على دهر الاسى * نمسح الدمع براحات الصفاء
بيد ان الصفو يجري بيننا * كوميض البرق في جوف الفضاء
والذي نلقاه من حزنٍ ومن * اسفٍ خسرٍ غدا داء عياء
ضلّ منا القلب لا يرشده * راشدًا حق ولا يلقى اهتداء
قائم تحرقه الاطماع أو * قاعد يثلجه برد العياء
لم يعش منا امرؤ من غير ما * يعرف العبرات طرًا في الملاء
ومغاني الاجتماعات لنا * بين قاعات الصفا تهدي العزاء
غير ان الداء داء معضل * ليس يجدي في شفاه ذا الدواء
لا نسمن فضلة الكاس التي * قد تبقى للملا فيها احتلاء
وكأني لم ارَ الدنيا سوى * سجن شؤم بات فيه الاشقياء
يستطيعون خلاصًا انما * لهمو من بعضهم شر اعتداء
يضرب البعض بعنف بعضهم * بحديد غلّهم فيه الشقاء

ميخائيل بشاره داود





آثار السودان

صورة شارل نيوفيلد الذي كان أسير المتمهدي يشرب أول سيجارة
بعد خلاصه من اسره في السودان مدة عشر سنوات
ومعه ونجت باشا وسلاطين باشا

باب التقريظ والانتقاد

﴿ الشجرة النبوية ﴾ اهدتنا جمعية النهضة الادبية لعمال المطابع المصرية نسخة من كتاب الشجرة النبوية الذي طبعته في هذه الاثناء وهو يتضمن شرح سلالة صاحب الشريعة المحمدية صلى الله عليه وسلم وسرد تاريخ اعضاء هذه الاسرة الكريمة واحداً بعد واحد . والكتاب مطبوع على الحجر بنظافة واتقان نادري المثال ولا غرو في ذلك ولا عجب فان الشيء من معدنه لا يستغرب واذا كانت الكتب التي تطبعها هذه الجمعية لا تكون آية في جمال طبعها وحسن ترتيبها فلا ينتظر طابعو الكتب ان يروا أبدع مما كان . فنثني على اعضاء جمعية النهضة ونسأل لهم دوام النجاح ونحث قراء الكتب التاريخية على اقتناء كتابهم النفيس

﴿ روايتان مهمتان ﴾ لا يكاد يصدر عدد من المفتاح الأ وفيه تقريظ بعض الروايات الأدبية أو التاريخية الجميلة التي تتحفنا بها المكتبة الشرقية وتطبع على نفقة صاحبها الفاضل ابراهيم افندي فارس وقد اهدانا حضرته روايتان في هذا الشهر جديرتان بالمطالعة والاقتناء الاولى رواية (العبرة لمن اعتبر) وهي على صغر حجمها جميلة الوقائع جليلة الموضوع تنبه كل من يريد الاقدام على الزواج الى وجوب مراعاة تناسب السن والمقام والأ كانت المعيشة الزوجية محفوفة بالمكاره والاخطار والثانية عنوانها (ياغندور أو العاشق الجميل) وهي تتضمن وصف حالة المعيشة في باريس أم الدنيا ووطن الحضارة ومحط رحال القصف والخلاعة والروايتان على جانب عظيم من الطلاوة وحسن الانسجام فنحث الادباء على اقتنائهما والاستفادة بمطالعتهما

﴿ حفلتان عظيمتان ﴾ دعي منشىء هذه المجلة في الشهر الماضي لحضور حفلة افتتاح النادي الأدبي بالمنصورة وقد خطب في موضوع درجة مصر في عالم الحضارة ووسائل ترقيتها واظهار فائدة تأسيس المنتديات الادبية وقد عضده في ذلك كل من حضرتي الخطيبين الاديبين ابراهيم افندي جرجس وابراهيم افندي زكي من رؤساء المديرية فنشكر أعضاء

جمعية ثمرة الحياة صاحبة هذا المشروع ونثني على رئيسها الاديب اسحق افندي رمزي على ما أبدته من حسن الثقة لنا والحفاوة بنا (على غير استحقاق منا) ونسأل لناديها دوام التقدم والثبات ٠

وقد دُعي منشيء هذه المجلة أيضًا لالقاء خطبة أدبية أُخرى في الكلية الجامعة الحرة بالاسكندرية يوم ٢٠ الجاري ٠ تحت عنوان (كيف نسترجع مجدنا القديم) وقد حضرها كثيرون من الادباء والفضلاء

واني أشكر بلسان الاخلاص حضرات الافاضل اصحاب الجرائد العربية والافرنجية وفي مقدمتها المؤيد واللواء والمقطم والوطن والبصير والريفورم والفارد الكسندري الذين أبت مكارم اخلاقهم وجميل شيمهم الا ان يشجعونا بتقريظ خطبتنا واستلفات الانظار اليها على غير استحقاق منا ونسأل الله ان يوفقنا جميعًا الى ما فيه خدمة الامة والبلاد على الدوام

﴿ خطبة مهمة ﴾ بعث الينا سعادة الفاضل الكاتب النحرير والاديب الشهير احمد بك زكي سكرتير مجلس النظار والمجلة تحت الطبع صورة الخطبة المهمة التي تلاها في جلسة الجمعية الجغرافية الخديوية يوم ٢١ ديسمبر الجاري تأبينًا للعالم الفاضل المغفور له اسماعيل باشا الفلكي وقد ضمنها ترجمة حياته وتعداد مناقبه وسنأتي في الجزء الآتي على ما يهم قراء المفتاح من مواضيع هذه الخطبة المهمة وكل آتٍ قريب

﴿ ختام السنة الثانية ﴾

هذا آخر عدد من السنة الثانية للمفتاح نختمه بحمد الله على ما أولانا من حسن الرعاية والعناية حتى اجتزنا هذه العقبة وخطونا هذه الخطوة في بلاد لم تزل حديثة النشأة في عالم الحضارة والعلم ولم يدرك الكثير من ابنائها فائدة المجلات العلمية بعد ٠ كما اننا نشكر حضرات السراة الاماثل والوجهاء الافاضل الذين اخذوا بناصرنا وشدوا ازرنا وكان للمفتاح أوفر نصيب من تعضيدهم المادي وفي مقدمتهم سعادة الفاضل بطرس باشا غالي وقليني باشا فهمي وماهر باشا واسماعيل بك عاصم وميخائيل بك شاروبيم وعبدالله بك صفير وعبد العظيم بك مصطفى وغيرهم وكذلك حضرات الكتاب الادباء الذين طالما اذ دان المفتاح بنفثات

أقلامهم السيالة ونفحات قرائحهم الوقادة مثل حضرة احمد افندي محرم واحمد افندي الكاشف وناشد افندي حنا وتادرس افندي سيداروس وميخائيل افندي بشاره ورمزي افندي تادرس وحنا افندي يوسف منصور وغيرهم من اهل الفضل والنبل الذين لا ينسى المفتاح جميلهم ولا ينكر فضلهم ويسرُّنا ان نعلن حضرات القراء الكرام اننا عزمنا على ادخال اصلاحات كثيرة وتحسينات مهمة على مجلة المفتاح تظهر ان شاء الله في الجزء الاوَّل من السنة الثالثة ولكننا صممنا على قطع المجلة عن كل مشترك اظهر لنا المماطلة في خلال هذين العامين لان لدينا من افاضل المشتركين عدداً كافياً يغنينا عن هؤلاء المماطلين ونحن نسأل الله تعالى ان يوفقنا دائماً الى ما فيه اقبال القراء ورضى المشتركين فانه سبحانه وتعالى خير نصير وافضل معين



﴿ زهرة الحب ﴾

(تابع ما قبله)

﴿ الفصل الثاني ﴾

تضيق النفس أحياناً بدون سبب فتجر الى الفكر البله وبعض الذهول فيقع الانسان في الطويل العريض ويضرب في بيداء التفكير فيبني صروحاً مشيدة من الآمال ويهيم من الخيالات في وهاد قفراء فتطيب له الذكرى وتنصرف النفس الى العالم العلوي حيث الراحة والهناء وغبطة العيش ·

خلا الجو لفرنسيسكا فتنازعتها العواطف المختلفة وبدأت تداعب نفسها بروحتها لتنسى لوعة الاسى والغم لانها اعتبرت عمل المركيز من أفظع الخيانات واكبر الآثام واندهشت من افعال الملكة وحاشيتها باطراء شخص افاك كذاب يستحق العذاب الأليم لانه خدعهم وهم لا يشعرون أحقيقة ما يقولون يارب أهل هو ······ هذا أمر بعيد عن

التصديق بعد الثريا عن الثرى ... نعم ان قلبي وفكري لم يخدعاني الى هذا الحد وسيعود وأقف على السرّ

وكانت تلك العذراء في الربيع السادس عشر من عمرها أجمل بنات الارض وجهاً وارشقهن قدّاً تخلب بمحاسنها الافكار وتستولي برقتها على العقول وتستهوي على الافئدة بنظرة من ناظريها وابتسامة جميلة من شفتيها فاين عيون ألمها من عينيها اللتين كانتا تسطعان نورًا وهي كريمة من اللواتي عشن كما عشن بما جبلن عليه من الرفق والحنان وعدم الحيد عن محجة الشرف والفضيلة لدرجة افضت بها الى الألم الشديد فكانت تأبى ان تقترن بأحد أفراد الشعب مهما كان كبيرًا لئلا تحط بكرامتها وتخدش ناموس عائلتها وما فائدة الحياة اذا لم تكن حليتها الشرف وعزة النفس

فكانت تناجي نفسها قائلة : يارب لماذا خلقت من الملكات ولماذا لم أُخلق من عامة الشعب ولماذا يخفق صدري وتضطرب جوانحي انني لم أطق ان أرى خطيبي أو اسمع حديثه وكرهته كرهاً شديدًا فالى مَ أنوء باعباء الاستئناس واظهار البشاشة واللطف اليه وهو عبء ثقيل ينوء به قلبي الضعيف ربي أأسيء مقابلته وهل أقضي عمري تعيسة لاقترن برجل لم يبق لحبه في قلبي من اثر أأذهب ضحية الشرف الموهوم ربي ان قلبي لا يحتمل العذاب فرفقاً بضعفي ولكن كيف اصارع القوّة والقوّة لا تصارع واقاوم اعتقاد شعبي والاعتقاد من الدين فهو ساكن راسخ في العقول

عفوك يا إله الهوى ورب الغرام فما سخطت على الحب مختارة ولكنها نفثة جريح فؤاد رشقه سهم الهوى فصار لا يذكر الحب لديه الاَّ شكا أو بكى أو حن أو طرب .....

وهكذا امست هذه العذراء تتراوح بين لوعتين أحدها رفض عهدها لخطيبها عشير الصبا ورفيق الشباب وثانيهما حب لحبيب آخر تملك حواسها واستأثر بلبها ولم يبق ولم يذر وهكذا خلق القلب متقلباً والمرء ناسياً ذاكرًا

وقد أدركت العذراء حقيقة ما يشعر به قلبها الرقيق من عواطف الحنان فعراها الوجل من خطر تتوقع نزوله وخفق قلبها خفقاناً مستمرًا فانها اذا تزوّجت بخطيبها ترتكب المعاصي وتأتي المنكر ويقهرها سلطان الشهوات فتتبع عاشقها وحبيبها ليتشفي قلبها فتفقد لذة العيش

الهني والسعادة الحقة لان السعادة انما هي زواج المتحابين المتآلفين طبعاً وخلقاً بحيث لا تنجلي نارها بعد حين عن رماد بل تتحوَّل من الغرام الى المواآخاة والوداد وكفى فرنسيسكا رؤية شقيقها حسيراً على ضياع شرفه ومجده باقترانه امرأة تميل دائماً الى التنقل كالفرفور الذي لا يكفيه زهرة واحدة من ازهار البستان ليشرب من نداها وكانت تقول حاشا ان اكون الخائنة النا كثة لعهد الزواج

كل تلك الافكار السامية المنيرة صارت تحوم حول قلب تلك العذراء النقية وهي افكار حكمية من نفس أبية فاضلة تحافظ على عفتها وتحفظ قوى ارادتها وطهارتها لتقوم بفروض الزواج خير قيام وتعيش طاهرة الذيل كثيرة الاستقامة والتقوى نموذجاً حسناً ومثالاً فاضلاً ينسج عليه كرائم المخدرات سواء كن من بنات الشعب او من بنات الملك ويعلمهن فضيلة كانت معلومة علماً فوضعتها موضع العمل وهي فضيلة الزواج والتفاني في الاخلاص لان نصيب الحياة متعلق بنصيب الزواج .

ولا خلاف ان في نفس ابنة حوَّاء سواء ولدت في مهاد الفقر أو في مهاد العلاء شهوات واميال واسرار نفسانية هائلة تولد الانفعالات والافكار في الحياة الاجتماعية وهو درس أدبي اخلاقي اجتماعي يجب على الوالدين معرفته حفظاً لشرفهم ومجدهم وهو نوال الفتاة حرية الارادة في انتقاء الزوج وعدم ضغطهم على قلوب بنيهم بزواجهم من يحبون لان الضغط يقتل الجسد ولا يقتل الروح لان الروح لا تموت بل تطلب ثارها امام العلام العليم

نعم يعتقد البعض ان الحب امر عرضي زائل وان الزواج امر آخر جوهري رسمي وانه يمكن ان يكون زواج بلا حب فيقصدون ان يدفعوا اولادهم في طريق السعادة فيدفعونهم في طريق الشقاء ويدفعهم هذا الأخير الى التهلكة وسوء المصير وهو تناه من الوالدين في الجهل وايغال في العماية لا تكون معهما كفارة او شفاعه .

وها هي عذراؤنا الجميلة فرنسيسكا مضطربة الاميال مبلبلة الافكار من عوائد اهلها المستهجنة التي تقضي على الفتاة بخفض جناح الذل واقترانها بمن يريدون

فما وقفت فرنسيسكا على زهرة ذلك الشاعر المجهول حتى تسعرت نيران قلبها شغفاً بحبه وشددت عزائمها لمعرفته وصور لها التأمل انها تهواه وان ذلك الشعور الجميل هو الحب ورأت انه الخل

الوفي الذي تناجيه ليكون حليلها فتسكن مع المتنعمين في ديار الخلد وجنات النعيم ·

ان في صدر المرأة روحاً حية وشعوراً ناعماً وفكراً مستيقظاً فاذا تلت قصة غرامية او أبصرت رواية تمثيلية انجذبت للمؤلف وارتسمت صورته في مخيلتها وغطى على كل ما بها من الضوز الكامنة خصوصاً اذا كانت الكتابة والتمثيل جميلان يؤثران في العواطف والأميال فان الانعطاف يكون اقوى والتأثير اشد

طفقت فرنسيسكا تبكي لفراق الشاعر بالمدمع الهتان لعلمها ان البكاء يخفف لوعة الفؤاد الحزين بحيث لو رآها انسان لظن انها أصدق صورة لتمثيل الروعة والألم · وحسبته ملاكاً جميلاً قد كساه الجمال وحلاه الكمال بحسن الخلق وجمال الخلق وراحت تجوب الحي تمر بكل شاطىء تبحث في كل مكان عن الملاك الذي اسر جماله قلبها وخلب حسنه لبها حتى اضمحلت قواها من المسير فجلست وسط روضة وقد احاطت بها الخضرة والرياحين كأنها عروس الازهار كللها الربيع ·

مسكينة فرنسيسكا هذه العذراء الجميلة تعذبت عذاباً طويلاً ذاقت حرارة الحب وهي صغيرة ما انطوي قلبها على شيء بعد ولا عرف شيئاً ولم ينفتح الا على تلك الزهرة النيرة ولماذا جاءها الحب قبل الحبيب ولماذا عطشت قبل ان يأتيها الماء ولماذا لم تطر مثل عصافير الصحراء الى حيث هو وما عساه يكون حبيبها ومن أي سماء هبط ولما يختفي ؟ نعم يختفي من عيون البشر لانهُ كبيراً شريفاً عظيماً ! فتمنت لو تطير اليه وتغمره بحبها وتحميه من غارات الصبابة وتغرير الغرام وصارت تقول انت يا من اهواك ولا اعرفك تعالى تعالى لاطبق عليك ذراعين مفتوحين منذ زمن وانت يا باب قصره فلينفتح مصراعاك ويا خادم داره قف ويا طيور الحدائق واوطار المغنيين استقبلي القادم

وهكذا استسلمت لعوامل الحب والجوى وصار أعظم سلوى لها ان تتيه في الغابات تقضي الساعات سائرة بين الاشجار تناجي السماء والهواء والاطيار والازهار كأن لها منها رفيقاً وانما الطبيعة للمحزون خير رفيق ·

يا عجباً لهذا المخلوق الانساني كيف يشقى ويسعد بالفكر والوهم لا بل كيف يصح ويعتل بكلمة او لفظة فهذه فرنسيسكا قد هدأ روعها بعد الاضطراب واخذت تشعر ان

زمن الشدة والضيق قد ولى ووافاها زمن الاغتباط فصوّر لها الوهم ان روح شهيد من شهداء اجدادها اتت تبشرها باللقاء القريب مما قوى املها بادراك مستقبل حسن فكانت تبتسم تارة و يعتريها تارة أُخرى هزة المنتعش باستنشاق النسيم كأنه يحمل اليها أنفاس حبيبها لتطفئ شيئًا من لهيب الوجد

الفصل الثالث

وكانت الشمس قد اخذت تكسو الارجاء بثوب البهاء فتناغت الطيور على الدوالي الوارفه وعيدت الطبيعة فلبست بساتينها كل اثوابها الجميلة واغصانها كل اوراقها الخضراء ووقف تيودور ناظم « زهرة الحب » على صخرة عالية كأنه حمامة بيضاء وقفت على حافة الماء يطوي الافكار وينشرها في خلوات الافتكار حيث وجد في نفسه كل عوامل الحب وهواجسه وخطراته قبل ان يداخله الظن في انه بلغ اليه وتخيل امامه الغبطة والهناء والنعيم والراحة واللذة والسرور مسك زهرته في يده كأنها غصنًا من الزيتون أو باقة من الازاهر أو نسمة صباح باردة تهب فتنعش الارواح وتبعث الحياة جديدة شابة في الصدر وسار في طريقه على مهل محازيًا لنهر صغير كالحية بين الاعشاب الجميلة يترقرق ماؤه الصافي كأنه اللجين يسيل في مجراه الى ان اقبل المساء وانتشرت الظلمة على الارض فنزلت الشمس من عرشها بسكينة : ليحرسها في ليلها البدر حينما تغيب فرفرف عليه اله النعاس بجناحه الاسود فاستغرق في النوم وجل من لا ينام وما اجمل ما ترآى له من الاحلام اللذيذة التي مرت بذهنه كما تمر الغيوم تحت قبة الفلك وتخيل له وجه الحبيب الجميل من خلال الاوهام وحجب الاحلام بمرآى لم يشاهده من قبل لان جماله كان فوق الحد ونهاية التصور فاستيقظ مذعورًا واجدًا مشغوفًا تتنازعه عوامل الخوف والفرح . وكانت فرنسيسكا متشوقة لرؤياه تشوق الظمآن في اشد اوقات الهجير للماء وصارت تسعى وراءه في الليل وفي النهار تطلبه في النوم وفي اليقظة في الشغل وفي الراحة تطلبه ليس لها ولكن لقلبها ليس لجسدها الفاني ولكن لروحها المملوءة بالحب الخالص والهوى الصادق فلم تفكر الأ به ولم تصب الأ اليه ولم تر الحسن الا فيه وآلت على نفسها ان لا ترى الشمس ولا القمر حتى تراه .

هجرتها الراحة ولازمتها الاحلام المزعجة واستحوذ عليها الغم والضيق فسارت الى الخلوات وتاقت الى العزلة وقلبها يقودها و يدفعها الى حيث لا تعلم . فهي تحيى بالأمل وبالأمل تعيش

وبينما هي تطوي البيد طياً لتبلغ مناها ابصرت شبحين على بعد وهما الملكة وخطيبها يوليوس خرجا لمعرفة مكنونات سرها وخبايا امورها فارتاعت في امرها وحست بحاسة جديدة تشغل بالها كأنها بين انياب المنية وشعرت ان ضمن احشائها قفرا بلقعا وفراغاً مخيفاً وظنت انها سمعت من اطراف ذلك القفر صوتاً منخفضاً عميقاً كأنه صوت روح يناجيها فطفقت تجول في حوماتها جولان الهائم ثم اندفعت تنهدات عميقة من صدرها واصبح لا يدب الأمل في قلبها لمرآى هذا الحزن بل تزداد كآبة وتعاسة ولم تجد لها مأمناً وظنت انها اتعس من على الارض واحقهم بالرحمة . واتسع لافكارها ميدان التأمل فاحدقت بنظرها الى الطريق واستقبلت باذنيها مهب نسيمه وبحثت في اجزاءه بدقة لتستطلع اشارة تنقلها عن حبيبها فابصرت على مقربة منها محيا فتى في عنفوان الشباب وزهرة العمر كريم الاخلاق زكي الفؤاد باسلاً استجمع ما يستحب في الرجل من الصفات الحميدة والمناقب المحمودة وكان يتدفق في محياه نور الجمال وماء الحياة حتى لتكفي نظرة من نظراته لان توقع المرأة في حبائل الغرام الوبيل فسجد امامها يسبحها كما تسبح الملائكة خالقها جل جلاله في السماء وهي تضمه بذراعيها كما تضم الوالدة طفلها الوحيد وتقبله بحنو زائد تائهة اللب ولهانة بخمرة التداني لا تعلم لماذا تقبله ولماذا تعانقه وشعر في نفسه شعوراً غريباً لذيذاً حيث صادف منها فؤاداً طاهراً خلياً فتحت له مخادعه واشتدت بينهما رابطة الحب والولاء فتجاذبا الحديث ونسي كلاهما الدنيا وما فيها ولم يكفرا بغير الحب وكأن الطبيعة غارت من مرآى الفتوة والجمال فنزعت عنها جلباب الكدر واكتست بلباس الصفاء فاسفر وجه السماء وبان القمر ثم النجوم الدرارى ذات السنا والسناء فاكتفى تيودور بشمسه المنيرة عن تلك الاضواء وصار يطوقها بذراعيه وهو شاخص اليها وما عساه يحتاج الى خطاب وهو يرى الشمس والماء والجبال والهواء ونظراتهما وسكونهما وانفاسهما ونفوسهما قد اجتمعت كلها تتكلم عنهما وهي رأت على قدميها شاباً بهي الطلعة رائع الجمال مقدماً ذاته محرقة على هيكل الحب فحدقت اليه ناظرة بلهفة العاشقة وقد بدا لعينيها كأنه المحيط الذي تصب فيه انهار حياتها وسألته بلهجة ما

اسمك ياحبيبي ·

قال عبد من رعاياك

قالت لا تبالغ في تعظيم حياة تشتهي ساعة انطفائها واخبرني عن اسمك

قال تيودور يامليكة فؤادي ·

فشعر قلب العذراء بهناء العيش ولذة الراحة بعد العناء وهي تكاد تطير به غبطة وفرحاً وقالت يابهجة الفؤاد وزهرة الحياة الدنيا قد التهب قلبي بنار حبك واضطرم بسعير وجدك فهل انت تحبني كما انا أحبك وتميل اليَّ كما يميل قلبي اليك ·

قال عفواً يانور العين وحشاشة الفؤاد فقد عرضت قلبك لحب رجل ينظر اليك كمن ينطر الى الإله في اعالي السماء ·

قالت مهلاً ياتيودور مهلاً فان للهوى سلطان لا بدَّ للعاشق من الخضوع تحت لوائه صاغراً ممتثلاً لأحكامه وانا اعلم ان سيكون لك نصيب في نفسي وشركة في حياتي لاتقطعها عوامل الايام لاني أرى سعادتك احب اليَّ من سعادتي وخالسته النظر بطرف ساحر فراح ثملاً كأنه بين الكأس والوطر وهي ملاكه الحارس هبط على الارض من أعالي السماء لتعزيته ومواساته فشد على يدها فلازمت جانب الخلود والرصانة حتى اضطر تيودور ان يبادرها بالحديث فقال انك رقيقة الشعور شريفة العواطف كريمة السجايا فاقضي بما تريدين فعلي الغرام قد ولاك فجذبته الى صدرها ولاحت على شفتيها ابتسامة حسب انها تباشير السعادة تلوح امامه وقبلته بحنو وحب يستأثر باللب ويدعو القلوب الى الهيام وقالت وهي تتبختر دلالاً وتميس اعتدالاً قم معي يامهجتي نتفيأ تحت ظلال تلك الرياض النضرة والغياض الغضة نرتشف كؤوس الهناء مسرعة ونقطف أثمار الصفاء يانعة فان الله الذي جمع روحينا لا يبعد عليه ان يجمع جسدينا فما أجمل هذا المنظر وما كان أوقعه وأشده في نفس الملكة التي دبت في قلبها عقارب الغيرة وكادت تموت حسداً كالنار كلما خمدت تتقد عند هبوب الرياح لكنها حاولت الصبر والجلد امام يوليوس ولو انها لم تستطع التغلب على حاسة الحسد التي تنخر في عظامها كما ينعل السوس في الخشب ويوليوس غارق في محيط تأملاته ولم ينتبه الاَّ وقد عزم على الفتك بتيودور وأراد ان يذيقه عذاباً شديداً

جلس العاشقان على بساط من العشب الاخضر فرشته يد الطبيعة على اكمة صغيرة يتداعبان ويتلاعبان ويتنشقان عبير الازهار ويصغيان لتغريد العصافير وخرير الماء وتلاعب النسيم بالاغصان حتى خيل لهما الوهم ان الطبيعة بأسرها تحولت الى محفل طرب وانس وانها تنشدهما اغاني المسرّات التي تفعل في اللب فعل المدامة في العقول وفرنسيسكا تارة تتوكأ على ذراعي تيودور وطورًا تلقي رأسها الجميل على كتفيه وهي في كل حركاتها وسكناتها آية اللطف والجمال وما أسعد خلوة يضم الحبيب فيها حبيبه فتلتف الايدي حول الاعناق وتتحد القلوب وتلتقي الشفاه فتختم على عهود الحب بقبلات حارة منبعثة من فؤاد يضطرم بنار الشوق والوجد ولو ان الشمس ترقبهما من بعيد كأنها العذول الغضبان والنسيم العليل البليل يمر بهما لطيفًا خفيفًا كأنه يسترق السمع لحديثهما الرقيق وما كان الا مستمدًا من انفاس فرنسيسكا عبيرًا زكيًا . وفيما هما يمرحان في روض الصبا انقضت فئة من رجال السيف على تيودور كما ينقض الاسد المفترس على فريسته ليمزقها واختطفوه من بين يديها وظهرت الملكة ويوليوس فأحمرت العذراء خجلاً وسقطت فاقدة الحس والحركة كأنها تمثال الموت ولكن الموت الذي يميل بالنفوس الى الحياة الخالدة ودار النعيم فصمتت الاشجار لان الريح لم يخاطب اغصانها لشدة ما أصابه من الغم والكآبة وبدت للناظر كأنها اشباح سوداء هائلة وسكنت مياه النهر لا تضطرب كأنها راقدة رقاد الموت فحمل الرجال العذراء الى قصرها وتيودور الى سجن مظلم لا تنفذ اليه الشمس ولا يتخلله الهواء كأنه يجتاز آخر درجة من سلم الأمل وصار يصافح اليأس كأنه يتلقاه بالراحتين . ولما استيقظت الفتاة من نومها الطويل فتحت اجفانها عن عين ملئهما السحر والحور حزينة القلب منكسرة الفؤاد ولم تقدر ان تفتكر أو ان تشعر أو ان تتذكر شيئًا الاّ الفكر الواحد والشعور الفرد والتذكار الدائم انها لا تزال في قبضة تيودور واسيرة هواه فدخلت على اخيها الملك وطرحت نفسها بين يدي رحمته وكرمه وقالت اخي حرام عليك ان أميرًا انفق قواه واذاب شبابه وحمل داء يجبي • يتطلب سريرًا ناعماً بقربي فهو مثل الحية التي بعد ان مرت على الاقذار تجيء • فتنام بقرب زهرة لتشمها وتذبلها فأجابها بصوت منخفض عبثًا تاملين حياة منيرة حياة مشرقة حياة فرح وسرور بجانب تيودور فانبذي حبه لانه سيقتل فذعرت وصاحت صيحة الواجفة الجافلة والعاشقة الولهانة

وركضت في جوانب القصر تنوح وتتوسل وتلتمس العفو من الرحمن وهي تقول تيودور تيودور لا تنتهي حياتك الآ بحياتي وصارت تهب الهواء لثمات لا تعود اليها وتعد الساعات كأن بينهما ملتقى وترفع بصرها ويدها الى السماء لتقبض على نجومها الهاربة منها الى الازل فما أشقاها : ما كاد ينفتح قلبها للفرح حتى دخله الحزن وينشق للنور حتى انطبق على الظلمة لكنها زادت ثباتاً في حب حبيبها وولاء لعهده كأن مصائبه ضاعفت قوّة عواطفها وقضت الليلة بين عوامل الغرام تتنازع في قلبها الرقيق وعقلها ينهاها عن الاستسلام للهوى حتى التحم القلب والعقل في قتال شديد ومصارعة هائلة باتت الفتاة منها في ليلة من أشد الليالي اضطراباً فلم يغمض لها جفن حتى الفجر

ولما لاح الصباح وهبت نسمة السحر الباردة ذهبت الملكة لزيارة تيودور لتسكن لهيب قلبها المستعر فقبلته قبلة تشف عن حب وهيام تملك عواطفها والقبلة مفتاح العشق والثمرة الأولى من شجرة المحبة المؤدية الى جنة الوصال ونعيمه وجثت لديه تتلو عليه بلسان فصيح آيات حبها وغرامها وشعرت بخفوق شديد في قلبها واضطراب في جميع جوانحها فلم تلق منه جزاء شغفها الآ الصد والهجران واحست بسهم الصدود والفتور فتنازعتها آلام الجوى ولواذع الغيرة فثار غضبها وهاج هائجها فأقسمت ان تقتله اذا لم يطاوعها فرضي بالقتل دون الغدر بالحبيب والهلاك دون خيانة عهد الحب وامضت الملكة اياماً طويلة تتجرع منها غصصاً وحرقات تزيد على عذابات اهل الجحيم حتى انتهى امر الشاب المسكين بالموت فأغمض عينين ما انفتحتا الآ للنور واطبق فماً ما تبسم الآ للفضيلة وبسط يداً ما انقبضت أناملها الآ على قلم يشعل الحرية . واحتجب رجل كان يستنشق هواء الحياة العمومية حياة الكل . حياة الجماعة . يحس باحساسهم و يشعر بشعورهم لكنه ما وجد غير قبر صغير تسقيه دموع الندى صباحاً وترعاه اعين الشمس والقمر كأن الطبيعة تعرف قيمة الموتى فتهدي قبورهم غير ما عندنا . أما فرنسيسكا فقد نبضت دموعها لموته ولكن ما انطفأت النار في قلبها و يئست من العيش المر ونظرت بعينها قدرة الموت

انقضت ايام قليلة بعد وفاة تيودور وفرنسيسكا تتألم من حالتها التعيسة وتصارع عواطفها وأميالها وتناضل قوّة المحبة حتى رأت حجاب الحائط قد انشق وظهر منه رجل اصفر اللون

يمشي رسول الموت بين يديه وهو يتقدم اليها مبتسماً ... وما كان ذلك الرجل الا يوليوس نظر اليها فابتسمت وهي خيال حزين تردى ثياب البهجة ليخدع القلب الكليم وينسيه ولو ساعة مصائبه وأحزانه ولكن اين لها ذلك ومصيبتها مذدوجة خسرت حبيبها وقضى محكوماً عليها ان تقترن بأمير لا تميل اليه حتى شعرت كأنها محمولة وسط فضاء واسع باحشاء كوكب ناري يسربله ثوب من اللهيب الذي لا يفنى فاذا وضعت اقدامها تشعر انها تمشي على نار محرقة واذا أرادت التنفس لم يكن الهواء الذي تستنشقه الا لهيباً واصبحت حالها كما تشتهي العواذل .

انقضت برهة من الدهر امتصت الاحزان الحياة من عروقها فغادرتها عرضة للاسقام وقصر الدواء عن بلوغ غاية الداء وفقدت في مرضها حيل الاطباء فنخر الحزن قلبها وهدت ذكرى الحبيب ركنها وذابت كما تذوب الشمعة حتى انطفأت فاودعوها القبر في نضارة العمر وزهرة الصبا فتألب حول ضريحها الاهل والاحباب يعجبون لذلك الغصن الرطيب كيف ذوى ولتلك الطلعة البهية كيف واراها التراب وكيف استتر الموت تحت هذه الحياة النضرة بل كيف ضم اللحد فتاة تبتسم للفجر وللأمل وللزهر وللحب وللطبيعة وللحياة وللوجود وما علموا ان الحب أكل قلبها وعواطفها وفكرها وتركها جسداً بلا روح . فالحب في قلوب الفتيات مثل وبر الورق الاخضر فوق قلوبهن فاذا جاء المرض ذهب بالوبر والورقة واللب

فحياة العذراء سلسلة من الحب وعالمها قلبها فاذا طلبت الرفعة والسيادة ففيه واذا تولتها المطامع الاشعبية فالى كنوزه . فلو اقترنت قهراً وعنوة فقد احرقت نفسها حرقاً فتدخل الى روض السعادة والهناء فتزيل ما فيه فلا يعود يطرح زهراً ولا يحمل ثمراً وتموت في نضارة جسمها وزهرة صباها من انكسار قلبها وما ادراك من انكسار القلوب فالحب كائن يحيى بروح تظهر فيها حالة المحبين بين السماء والجحيم وبين الأمل واليأس وبين السعادة والشقاء ومع ما فيه من فكاهة اللهو ولذة اللقيا لا يخلو من لواعج الوجد وحرقة الصبابة فليحذر العشاق ولينتبهوا الى قول من قال

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل   فما أختاره مضنى به وله عقـل
وعش سالماً فالحب آفته عنى   فأوله سقم وآخره قتـل

(تمت)

رمزي تادرس